

الذكرى

للأديب حسين شوقي

« Je n' hésite pas à dire que le système connu sous le nom générique de Capitulations, tel qu'il est partiqué aujourd'hui en Egypte, est tout a fait incompatible avec la situation actuelle de l' Egypte. »

وبعد ، أليس من الجور في أخص صورته أن مصر وقد خطت في سبيل المدنية الصحيحة والتقدم خطوات لم تنكرها عليها الدول ؟ أليس من الجور أن مصر هذه إن أرادت فرض ضريبة جديدة تستعين بها على ما تقوم به من أعمال كبار أن تلجأ الى اثنتي عشرة دولة تلتئم موافقها ؟ إنه مظهر من مظاهر قصور السيادة ، وجرح لا يندمل في صميم العزة القومية . ومن ذلك ما حدث خلال المدة التي أعلنت فيها الأحكام العرفية على البلاد ، إذ جرت السلطة العسكرية على إصدار أوامر تسرى على الوطنيين والأجانب سواء بسواء ، وكان بين هذه الأوامر ما يتعلق بفروض مالية قبل الأجانب ، والوطنيون يحملونها . فلما ألغيت الأحكام العرفية أثار الغاؤها دفأن العصيان المدني لأوامر الحكومة المصرية ، فامتنع أكثر الأجانب عن دفع ضريبة الخفر ، وأشار بذلك بعض القناصل وعللوا الامتناع بأن دولهم لم توافق عليها . وما كانوا ليقولوا كلمة وقت أن فرضتها السلطة العسكرية .

ومجمل القول أن نظام الضرائب في مصر جد متناقض ، وعللة ذلك نظام الامتيازات العتيق والتوسع الضار الذي خلقه العرف السائد الآن والقواعد القديمة البالية ، والأوضاع الكيدية المهينة التي صورتها الامتيازات . وهل ترى من العدالة أن الأراضي الزراعية وجلها في يد المصريين تثقل بالضرائب حتى لتكاد تستغرق الأيراد ، أما التجارة الواسعة وهي في يد الأجانب ، والصناعة الممتازة المكسبة ، والمصارف الكبرى وكل ذلك في يدهم ، فعنى من الضرائب .

وأخيراً فلا تردد في إبراز الحقيقة نيرة في سطور معدودة ذلك أن قيام الأجانب متمسكين في وجه مصر بامتيازاتهم كلما حاولت الحكومة المصرية السعي لالغائها أو تخفيف وطأتها سيكون له من الأثر الخطير ما يقرب أجل الامتيازات ، لأن الحال على ما هي عليه لن تدوم طويلاً ولا بد لمبادئ العدالة أن تسود يوماً ما

ركي وباب

« تم البحث »

مضى عام كامل منذ أن رافق (س) رفاتها الى المقر الأخير ، فرأى أن يزور القبر بهذه المناسبة وأن يضع على الضريح طاقة من البنفسج ، لأنها كانت تحب هذا الزهر الذي طالما لاحت زرقته في انساني عينيها ، ثم قصد الى محل الشاي حيث اعتاد مقابلتها لدى خروجها من عملها ، وجلس الى المائدة التي كانت تجلس اليها وهي تنتظره في شغف وسرور . . ثم أقبل الخادم وكان هو بعينه الذي خدمها في العام الماضي ، فخياه (س) كالعادة في لطف ودعة ، ثم طلب منه الطلب نفسه : قدحين من الشاي ، فدهش الخادم لأن الرجل لم يكن معه أحد ، ثم أخرج (س) مجموعة من الرسائل التي علتها صفرة القدم ثم أخذ يتلوها واحدة واحدة للمرة المتممة للمائة ، ولكن كان يجد فيها دائماً لذة جديدة كأنها لحن من ألحان ديوسى الشجية التي لاملها النفس أبداً . .

هاهي ذى ذكريات الماضي ماثلة أمامه : مقابلاته الأولى مع محبوبته ، رحلاتهما ، زهاتهما ، نوادرهما ، جلساتهما في هذا المكان نفسه ، تناولهما الشاي في هذه الساعة نفسها ، كل ذلك كان يحس وجوده ، حتى المحبوبة خيل اليه أنها بجواره . . كان يشعر بلذة عظيمة من أجل هذا ، لقد أتى عملاً يعد من معجزات الرسل إذ تحدى الفناء وعلا سلطانه فوق سلطان الدهر ، ولو الى زمن قصير !

مضت ساعة ، فساعة ولم يحضر أحد . . وكان الخادم يرقبه فظن أن الرجل ضحية خيبة أمل من عشيقته . . ولكن على حين فجأة تذكر قصة هذا الرجل ففهم الحقيقة المؤلمة لما كان يبدو على (س) من مظاهر اليأس المتجدد ، ففجّل من نفسه وأشفق على الرجل شفقة عظيمة ، كما أعجب من تحديه للموت ومن وفائه لمحبوبته المتوفاة ، ثم اقترب منه ومد اليه يده معتذراً لسوء ظنه قائلاً : آسف جداً ياسيدي لقد شككت في وفائك ، سامحني ! فصافه (س) في حزن وألم مردداً : لا بأس لا بأس . . وكأنه أفاق من حمله الجميل فماد الى عالم الألم والشقاء ، يئن تحت سلطان الزمن .

حسين شوقي